

مشروع السياسة الكونية عند هابرماس

Habermas's Global Politics Project

د. حمياني صباح¹

جامعة محمد بوضياف-المسيلة، sabah.hemiani@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2025/07/01

تاريخ القبول: 2025/06/01

تاريخ الاستلام: 2025/04/29

ملخص:

إن الحديث عن تأسيس مشروع مجتمع تواصلي كوني في شكل محور أساسي في فلسفة يورغن هابرماس لاسيما في المجال السياسي، هذا الاهتمام يدخل في حيز المجتمعات التي تعيش مرحلة متقدمة من التطور ويقصد بذلك المجتمعات الغربية الأوروبية التي أوصلتها الحداثة إلى التقدم مؤمنة بمدى قدرة العقل في تحرير الإنسان من جميع السلطات ومن الطبيعة التي أصبحت تمثل الأساس له في تحويل علاقته بالطبيعة وعلاقة الإنسان بالإنسان، هذا ما يظهر عقله المجتمع وخلق هذه العقلنة إرادة سياسية تسعى إلى توسيع مجال السيطرة. هذا ما شجع هابرماس إلى سياسة مجتمع كوني يضم كل الفئات من مختلف الأجناس تحت ما يسميه بمجتمع واحد قائم على مبدأ التواصل المرتكز على سياسة الشرعية في العيش معا والاحترام المتبادل، لنقل الدولة التي عمل جاهدا على التنظير لها، نظاما سياسيا محددا قيما سياسية واجتماعية وثقافية هذه القيم نتجت عن فعل التواصل أفرزتها العقلانية القائمة على اللغة.

كلمات مفتاحية: المجتمع، التواصل، العقلانية، الكونية، الحداثة

Abstract:

The discussion of establishing a global communicative society project is a fundamental axis in Jürgen Habermas's philosophy, especially in the political sphere. This interest falls within the scope of societies that are living in an advanced stage of development, meaning Western European societies that have been brought to progress by modernity, believing in the extent of reason's ability to liberate man from all authorities and from nature, which has become the basis for transforming

his relationship with nature and the relationship of man with man. This is what shows the rationalization of society, and this rationalization created a political will that seeks to expand the scope of control. This is what encouraged Habermas to adopt a policy of a global society that includes all groups of different races under what he calls a single society based on the principle of communication, which is based on the policy of legitimacy in living together and mutual respect, to convey the state that he worked hard to theorize, a political system that defines political, social, and cultural values. These values resulted from the act of communication and were produced by rationality based on language.

Keywords: society, communication, rationality, universality, modernity

¹- المؤلف المرسل: د. حمياني صباح

1. مقدمة:

إن الحديث عن تأسيس مشروع مجتمع تواصل كوني في شكل محور أساسي في فلسفة يورغن هابرماس لاسيما في المجال السياسي، هذا الاهتمام يدخل في حيز المجتمعات التي تعيش مرحلة متقدمة من التطور ويقصد بذلك المجتمعات الغربية الأوروبية التي أوصلتها الحداثة إلى التقدم مؤمنة بمدى قدرة العقل في تحرير الإنسان من جميع السلطات ومن الطبيعة التي أصبحت تمثل الأساس له في تحويل علاقته بالطبيعة وعلاقة الإنسان بالإنسان، هذا ما يظهر عقله المجتمع وخلق هذه العقلنة إرادة سياسية تسعى إلى توسيع مجال السيطرة، وهذا ما شجع هابرماس إلى سياسة مجتمع كوني يضم كل الفئات من مختلف الأجناس تحت ما يسميه بمجتمع واحد قائم على مبدأ التواصل المرتكز على سياسة الشرعية في العيش معا والاحترام المتبادل، لنقل الدولة التي عمل جاهدا على التنظير لها، نظاما سياسيا محددًا قيما سياسية و اجتماعية وثقافية هذه القيم نتجت عن فعل التواصل وأفرزتها العقلانية القائمة على اللغة. ففيما تتمثل السياسة الكونية لدى هابرماس الناجمة عن فعل التواصل؟ وما مدى حاجة أخلاق المناقشة للحصول على سياسة تواصلية كونية؟

2. مشروع السياسة الكونية عند هابرماس

1.2. البعد السياسي لفكرة الكونية عند هابرماس

لقد دعا هابرماس من خلال مشروعه السياسي إلى قيام دولة كونية تتشكل بدءاً من تبني قيم متجاوزة بذلك الرؤية الضيقة للإنسان، والتي تكونت وفقها الدولة الوطنية، معتبراً أن النظام السياسي يعيش أزمة بناء على ذلك حاول البحث عن بديل للدولة الوطنية إثر الضغوطات التي تتعرض لها من طرف المؤسسات الكبرى التي تحرك الاقتصاد. (محمد عبد السلام الأشهب، 1997 ص 211) (والبديل الذي يقترحه هابرماس يتمثل في قيام مواطنة قائمة على الدستور هذا ما دعا إليه في مؤلفه الاندماج الجمهوري 1998 قائلاً "نقر أطروحة الوطنية الدستورية غياب أي رابط مفاهيمي بين القومية والجمهورية، أي الجماعة العرقية والشعب السياسي خارج صدق التاريخ" (Haberas Jurgen, 1998, p 72)، فالولاء هنا يصبح للدستور ومن خلال هذا الرابط الدستوري يمكن الانتقال من الإطار الإقليمي المرتبط بالدولة الأمة إلى الإطار ما بعد وطني أي كوني، بحيث يلتزم الأفراد بقيم أخلاقية كونية وتنظم علاقاتهم بناءً على قوانين دستورية ، فإذا كان المعيار الأساسي للديمقراطية يبني على التعاقد الحر فإن نمط الإجراء الذي تحدده السياسة القائمة على النقاش هو أساس المسار الديمقراطي (Haberas Jurgen, 2002, p320) واستدل هابرماس بالاتحادات التي ظهرت على المستوى المحلي كالاتحاد الأوروبي الذي يمثل نموذج ما بعد الدولة الأمة. (محمد عبد السلام الأشهب، 1997، ص 215) حتى يحقق مشروعه الكوني.

إذا النزعة الكوسمو بوليتية التي نادى بها كانظ سابقاً، ودعا إليها هابرماس لم تعد فكرة طوباوية بل أصبحت واقعا نعيشه ونلاحظه من خلال الكيانات التي أصبحت تتشكل في جميع المستويات. ففي الجانب السياسي عرف العالم بروز عدة اتحادات، كما تعمل ثورة المعلومات على توحيد العالم وصولاً إلى ما هو كوني (علي حرب، 2008، ص 203)

إن قوة معالم النظرية السياسية والأخلاقية لا تكمن في طابعها العملي بل تكمن في الحلول التي تقترحها والإجراءات الواجب اتخاذها للحد من المخاطر التي تواجه الإنسانية على الصعيد السياسي والثقافي.

2.2. دور مشروع السلام الدائم في بلورة مفهوم الدولة الكونية عند هابرماس

لقد استحق كانظ لقب الفيلسوف الكوني بامتياز، جاعلاً بذلك العقل كمرجعية لكل القيم الإنسانية، فكانت بذلك فلسفته الكونية مصدر إلهام للإنسان لكونها تحمل رهان كيفية العيش، أي رهان التفتح على الآخر فالأمر عنده تعلق بمشروع دستور كوني هدفه السلام الأبدي أو ما يعرف بالدولة الكوسمو بوليتية، هذا ما انتهى إليه في خاتمة مذهب الحق قائلاً "إن الدستور

الكوني أو السلام الدائم يشكل الغاية الأساسية لمذهبه في الحق في حدود مجرد العقل" (Kant, 1997, p629)

ويعد كتاب هابرماس السلام الدائم الذكرى المئوية الثانية للفكرة الكانطية " La paix perpétuelle le bicentenaire d'une idée Kantienne " الصادر سنة 1966 انعكاس لمشروع كانط ومحدد لأهم مزايا هذا المشروع من جهة ومآخذ من جهة أخرى، فكيف يمكن إعادة قراءة هذا المشروع وفق متطلبات العصر الراهن وما يشهده من تحولات؟

ينطلق هابرماس من فكرة أن مشروع السلام الدائم عند كانط هو مشروع مثالي إذ بواسطته تصبح فكرة الدولة الكوسمو بوليتية محل اهتمام وجب تفعيلها.

فالتفكير في مشروع السلام الدائم وجد فيه البعد الكوسمو بوليتي، معيدا استثمار مشروع السلام الدائم من خلال إعادة صياغة الوضعية الحالية للعالم اعتقادا منه أن فكرة المواطنة الكونية تشكل أفقا وهدفا نهائيا لدولة السلام الدائم لهذا يعتقد أن كانط قد اكتشف بعدا سياسيا للنظرية السياسية وهو الحق الكوسمو بوليتي. (J.Habermas, 1998, p07).

لقد كانت فكرة الفضاء العمومي لكانط الأرضية الصلبة لهابرماس لتشكيل نظريته حول النظام الكوسمو بوليتي موضحا أن كانط السباق لفكرة الفضاء العمومي، انطلاقا من فكرة الحق الكوني. ففكرة السلام الكوني التي أسس لها كانط كانت فكرة أساسية بالنسبة لهابرماس مؤكدا على ضرورة تطويرها واستخدامها في الفضاء السياسي الراهن، لاستثمار مشروع الدولة الكوسمو بوليتية فكانط حمل على عاتقه مهمة الدفاع عن الإنسان فحول الذات الفردية إلى ذات كونية ممكنة لكل الذوات، فأصبح الحديث عن الإنسان العالمي والكوني، انطلاقا من أن كونيته ناجمة عن طبيعة الإنسان العاقلة ومن الاستخدام العملي للعقل فما يوجد بالبشرية في الحياة الاجتماعية هو القانون الأخلاقي والحق الكوني الناتج عن هذا القانون.

استأنف هابرماس مشروع كانط في السلام الدائم بإعادة صياغته في تصوره للمحاور الثلاث، السيادة الخارجية للدول وتحول العلاقات الدولية والسيادة الداخلية للدول وما يرتبط بها من مخاطر كونية تتطلب مفهوما جديدا للسلام العالمي.

ويرى هابرماس أن تصور كانط لتحالف الشعوب ضمن إطار السيادة لا يستقيم، لذا لابد من إعطائه البعد اللازم على حساب سيادة الدول على الأقل وهو فرض احترام القانون من خلال

الجمع بين الطابع الخارجي للعلاقات الدولية والطابع الداخلي بين أعضاء الائتلاف الدولي القائم على ضوابط دستورية مشتركة تتجاوز مبدأ السيادة الخارجية في حالات العدوان وانتهاك حقوق الإنسان (J.Habermas, 1998, p52,55)

أما فيما يتعلق بالسيادة الداخلية للدول يوضح هابرماس أن كانط تصور الاتحاد الكوسمو بوليتي في شكل فيدرالية من الدول، الوقت الذي أرجع كل حالة قانونية إلى الحقوق الأصلية للإنسان خارج أي تحديدات سيادية للدولة، في هذه الصياغة يلجأ هابرماس إلى قول آدم سميث مبرزاً أن مفتاح القانون الكوسمو بوليتي يخاطب الأفراد من حيث انتمائهم لرابطة كونية مشتركة بين عناصر حرة متساوية، ويترتب عن هذا البعد نتائج قانونية عينية. (J.Habermas, 1998, p58)

أما بخصوص المحور الثالث المتعلق بالهيكل الجديدة للمجتمع العالمي التي تراجع فيها مبدأ السيادة من حيث القوة المعيارية، بحيث يمكن القول "إن العالم يعيش وضعاً انتقالياً بين القانون الدولي والقانون الكوسمو بوليتي". فإذا كان كانط تصور ائتلاف الدول الحرة في شكل تجمع عدد متزايد من الدول فإن النظام الدولي تشكل من كل بلدان العالم بغض النظر عن طبيعة نظامه السياسي في الحكم، مما أنتج مجتمعا عالميا. (J.Habermas, 1998, p66) ، فبسبب اهتمام هابرماس بالمشروع الكانطي والمتمثل في السلام الدائم يعود إلى جملة من الأسباب التي فرضتها الأوضاع التي يعيشها العالم، هذا ما دفعه إلى تحقيق دولة كوسمو بوليتية يمكن من خلالها تحقيق عدالة كونية تتجاوز حدود الدولة الأمة ففكرة المواطنة التي دعا إليها كانط لم تعد في نظر هابرماس مجرد مبالغة متحمسة وإنما تعبر عن درجة من الاكتمال الضروري للحق المدني والعمومي. (أم الزين بن شيخة، 2006، ص209)

والمتتبع للنسق الهابرماسي يجده يهدف إلى تكوين فضاء كوني عمومي سياسي يمكن تصوره على أنه دولة المواطنة الإنسانية والتي كانت واضحة المعالم في نصوص كانط، إذ يعتقد أن هناك مهمة سياسية للفضاء العام الذي تتجسد فيه حرية الفكر ويستخدم فيه النقد على كل ما يتعارض مع الحرية والعدالة والفضيلة. (علي عبود المحمداوي، 2015، ص 36-37)

ويظهر من خلال ذلك مدى تأثير هابرماس بفكرة كانط القائمة على تكوين فضاء عمومي سياسي، تكون فيه الممارسة داخل فضاء عمومي تهدف إلى تحقيق نقاش صادق ومنتهج للفعل الاجتماعي لفعل عقلاني سياسي، (علي عبود المحمداوي، 2015، ص245)

وهذا يعني أن النقاش يكون داخل الفضاء العام ويهدف إلى التحرر الاجتماعي، لأنه يطلب من السياسة أن تكون السلطة في خدمة الشعب، فالفضاء العام لا يمكن أن ينفصل عن المجال السياسي لأنه يمثل رقيب النظام السياسي، فهابرماس ينتهج نهج التنوير - مستفيدا من كانط- والتفكير بلا وصاية واستعمال العقل على المستوى الاجتماعي دون حرج، (علي عبود المحمداوي 2015، ص53)، بهدف التغيير والبحث عن البديل مؤكداً أن المجال العمومي يعد مركزيا في الفكر السياسي المعاصر باعتباره مجال للمناقشة وإطار لمختلف القدرات الفكرية للبرهنة والإقناع لأنه مكون من أناس مختصين يجتمعون في شكل جمهور يشكل هذا الأخير دور الوسيط بين حاجات المجتمع والدولة، فإذا كانت فكرة المواطنة الدستورية الكونية تمثل شكلا من أشكال النظام الديمقراطي للمجتمع داخل التشكيلية ما بعد القومية (Habermas, 2000, p83) فإن هابرماس يطرح الإشكالات الراهنة التي تطرحها فكرة كانط بسبب الفوارق الفكرية والزمنية الفاصلة بين اللحظة الكانطية والواقع الراهن للبشرية طارحا الأسئلة التالية:

- كيف يمكن النظر للفكرة الكانطية في ضوء التحولات التاريخية التي حدثت في القرنين الماضيين؟ وكيف يمكن إعادة صياغة المشروع الكانطي بحسب الوضع الحالي للعالم؟ (J.Habermas, 1998, p10)

ومن خلال هذين الطرحين، يجيب هابرماس من خلال تبسيطه لأطروحة كانط في ثلاثة نقاط وهي:

- غاية الفكرة وهي السلام الأبدي.

- وصف المشكل القائم الذي يمثل الصيغة القانونية للفيدرالية بين الشعوب.

- الحل التاريخي الفلسفي للمشكل الذي هو تحقيق فكرة الدولة الكوسمو بوليتية (J.Habermas, 1998, p26)، ولقد عمد إلى إقامة مراجعة أساسية وجذرية لمفهوم سيادة الدول ويتعلق هذا بمفهوم السلم الأبدي الذي يطرح ماثلة في علاقته بفكرة الدولة الكوسمو بوليتية، إذ يوضح من خلال هذه الفكرة تحديد الإطار الكوسمو بوليتي من حيث تميزه عن القانون الدولي الكلاسيكي الذي ينظم العلاقات بين كيانات سيادية وفق مبدأ الإلزام دون أن تترتب عنه آثار قانونية بالمفهوم العقلاني المدني، إن كانط كان واقعيًا من حيث تحفظه على مشروع الرابطة الدستورية للشعوب، فالنموذج الكلاسيكي للدولة لا يعرف التمييز الواضح بين السياسة الداخلية والتي تعني سلطة الدولة العليا على إقليم محدود وهي التي تخول لها مهام القيام بمختلف الأنشطة داخل حدود إقليمها الجغرافي

أي وحدة الأرض المستقرة عليها فالدولة سلطة عليا على جميع الأفراد وهي مصدر تشريع لهذا الإقليم.

إذ لا تخضع الدولة ذات الحدود الجغرافية المحددة لأي دولة أخرى، ولها كامل الحق في تنظيم شؤونها بذاتها وفي ترتيب وتنظيم علاقاتها مع باقي الدول، مؤكداً كإنط أن النجاح للنظام الكوسمو بوليتي متوقف على سيادة الدول لأن السيادة تعطي للدولة القدرة على حماية حدودها ضد أي عدوان خارجي. أما الخارجية بناء على ذلك فإنها معيار سيادة الدول الذي يتحدد وفق القدرة على فرض الأمن والنظام في حدود الداخلية لمواجهة الدول الأخرى فهذا المأزق راهن على الغاية الكوسمو بوليتية للتاريخ لضمان التوفيق بين السياسة والأخلاق (J.Habermas, 1998, p26) حسب هابرماس الأمر ب:

-السيادة الخارجية للدول وتحويل العلاقات بينهما.

-السيادة الداخلية للدول والحدود المعيارية لسياسة السلطة الكلاسيكية.

-التقسيم الطبقي للمجتمع العالمي وشمولية المخاطر الداعية لمفهوم جديد

لأن السيادة تقف كعائق أمام تشكيل سلام كوني ومواطنة عالمية " إن المفهوم الكانطي لديمومة اتحاد الشعوب باحترام سيادة الدول غير مقنع" (J.Habermas, 1998, p51). لأن السيادة الوطنية هي سبب الحروب والخلافات بين مختلف الفاعلين.

ويعتقد هابرماس أنه من الضروري أن تنتقل السيادة إلى ما فوق وطنية شرط أن يتمتع هذا النظام بالشرعية اللازمة لفرض احترام القوانين التي يضعها على مختلف الدول إذ لا بد أن يكون الحق الكوسمو بوليتي مؤسس بالطريقة التي تسمح بإدماج مختلف الحكومات كما يجب على تحالف الشعوب أن يكون قادراً على تمكين أفرادها من احترام القانون ومعاقبتهم في حالة عدم احترام، لأن الغرض من العقوبة هو المحافظة على سيادة القانون مادام هذا الأخير يتمتع بسلطة يخضع لها الجميع.

إن الأمر يتعلق بتأسيس نظام كوسمو بوليتي يقوم أساساً على قانون دولي لا يشمل الشعوب بل الأفراد بصفتهم المشكلين لهذه الدول >>لقد ظل قانون الدول الكلاسيكي يتخذ كموضوع له الذات الجماعية التي تشكلها الدول، إذ يعتني بالدرجة الأولى بحقوق الشعوب غير أن الانتقال إلى القانون الكوسمو بوليتي يقتضي بالأحرى حماية الأفراد الذين يشكلون هذه الدول، أي

الانتقال من حق الشعوب إلى حق الأفراد، ومن الخصائص المميزة للنظام الكوسمو بوليتي الذي يتخلله هابرماس هو أنه حاول تحديد الشروط المؤسسية التي تسمح بمراقبة قانونية فعلية، لا للعلاقات الخارجية بين الدول، وإنما للعلاقات الداخلية أيضا بين الأفراد والدول وإرغام الحكومات على احترام شروط هذا التعايش الكوني بين أعضاء الجماعة الإنسانية عامة (عبد العزيز ربح، 2011، ص 175)؛ إذ لا بد من التأكيد على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن وضرورة القيام بإصلاح داخل هيئة الأمم المتحدة وتوسيع صلاحيات محكمة العدل الدولية (Habermas, 1998, p161.) إضافة إلى تعزيز عمليات اتخاذ القرارات من أجل الوصول إلى تحقيق اتفاق.

كما يقترح تشكيل هيئة أمم في شكل برلمان عالمي كسلطة تشريعية تتمتع بشرعية أكثر من السلطة التي تتمتع بها جميع الدول ويكون النواب فيه منتخبون من طرف شعوبهم، بينما تمثل الشعوب التي ترفض انتخاب ممثلها وفق المعايير الديمقراطية السارية لمنظمات غير حكومية يعينها البرلمان العالمي نفسه لتمثيل هذه الشعوب مسلوقة الإرادة. (حسن مصدق، 2005، ص 15).

وهكذا فإن قراءة مشروع كانط في السلام العالمي الذي يتبناه في صياغته الجديدة مع نقد المقاربة الكوسمو بوليتية التي لا خلاف في كونها تتأسس على مبدأ الكونية الأخلاقية الذي يعد الموجه للمشروع الكانطي.

3. من العقلانية الأداتية إلى الحداثة السياسية

1.3. موقف هابرماس من العقلانية الأداتية:

لقد ظهر مفهوم العقل الأداتي في العديد من مؤلفات الفلاسفة والمفكرين السابقين على هابرماس أهمهم هوركهيمر وأدورنو من خلال مؤلفاتهما "جدل التنوير" "Dialectic of enlightenment" عام 1972 ومؤلف هوركهيمر "أفول العقل" "Eclipse of reason" عام 1974، ومؤلف ماركيز "الإنسان ذو البعد الواحد" "One dimensional man" عام 1964، فالعقل الأداتي لدى هؤلاء هو منطق التفكير وأسلوب في رؤية العالم، أي أن العالم الاجتماعي أصبح له طبيعة ثانية غير قابل للتغيير ومستقل عن أفعالها، في حين يذهب هوركهيمر إلى أن العقل الأداتي هو العقل المهيمن في المجتمعات الرأسمالية الحديثة التي فقد فيها العقل دوره كملكة فكرية وتم تقليصه إلى مجرد أداة لتحقيق مصالح معينة، ثم فقد رؤيته للهدف تدريجيا وأصبح مجرد أداة لتحقيق الوسائل مما نتج

عن ذلك أن قدرة العقل فقدت إدراكها للحقائق في ذاتها إذ أصبح كل شيء مجرد وسيلة فحسب.
(أبو النور حمدي أبو النور حسن، 2012، ص 132-133)

إن مصطلح الأدوات عند هابرماس يحمل مضمونين أحدهما يمثل أسلوب لرؤية العالم والمضمون الآخر يمثل أسلوب لرؤية المعرفة النظرية مما يوضح علاقة العقل الأدوات بالأغراض العملية. ففي مؤلفه "التقنية والعلم كأيدولوجيا" يذهب هابرماس إلى "أن العقل الأدوات يعبر عن العقلانية الأدوات التي لعبت دورا هاما في المجتمع الرأسمالي الغربي مؤكدا أن مفهوم العقل الأدوات لدى ماركيز هو الذي يتفق مع العقل التنفيذي هو ذاته أيدولوجيا، فالتقنية هي السيطرة ذاتها على الطبيعة والإنسان، كما أنها مشروع تاريخي اجتماعي تعكس ما يريده المجتمع من مصالح" (هابرماس، 2001، ص 47، 48)

أما هابرماس يقصد بالعقل الأدوات العقل الغائي، فهو إما أن يكون أوليا أو اختيارا عقلانيا أو مركب منهما. ويهتدي العقل الأدوات بالقواعد التقنية التي تقوم على معرفة عملية ويحقق هذا العقل أهداف محددة في ظل شروط واضحة مؤكدا بأن مفهوم العقل الأدوات يعد أكبر دليل على ظاهرة التمرکز حول العقل العملي. وأن حركة التطور العملي في عصر الأنوار هي التي أدت إلى ظهور هذا العقل.

2.3. سمات العقل الأدوات:

حاول هابرماس أن يحدد سمات عامة للعقل الأدوات ويوضح الطريقة الاختزالية التي يمارسها بحق الإنسان والطبيعة وهي:

-العقل الأدوات ينظر إلى الطبيعة والواقع ولا يهتم بالخصوصية إذ يحاول تفكيك الطبيعة إلى أجزاء، ويعتبر الإنسان مجرد جزء شبيه بالأجزاء الطبيعية فهو ثابت وكهي، فنقد هابرماس للعقل الأدوات هو القضاء على مركزه لأن وسيلة نقده هي الذات التي سرعان ما تتمركز على ذاتها، والحل الذي يقترحه هابرماس هو العقل التواصلي الذي يقوم على تثبيت التواصل وقيمة الإنسان في المجتمع فالعقل التواصلي هو المخرج من هيمنة العقل الأدوات. (أبو النور حمدي أبو النور حسن، 2001، ص 134)

- العقل الأدوات مفهوم إجرائي للعقلانية لأنه لا يقتصر على دمج البعد العلمي والأخلاقي، بل يدمج البعد الجمالي أيضا.

فالعقل المتمركز على الذات نتاج صيرورة اجتماعية إذ وصفها كل من هوركهمير، ادورنو، وفوكو بأنها صيرورة ذاتية بوصفها تشيء، فكان من الواجب تحرير العقل داخل التواصل.

3.3. العقلانية التواصلية كبديل للعقلانية الأداتية :

لقد صاغ هابرماس هذا المفهوم لمحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل، ليطلق على مفهوم العقل بالعقل التواصلية، هذا العقل بالنسبة إليه هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز على الذات والعقل الشمولي المنغلق الذي يدعي أنه يتضمن كل شيء والعقل الأداتي الوصفي الذي يفكك ويجزئ الواقع ويحول كل شيء إلى موضوع جزئي حتى العقل نفسه.

وهابرماس من خلال مؤلفه "نظرية العقل الافتراضي" طرح إشكالية العقلانية الحديثة بإسقاطاتها المتنوعة. >> على الرغم مما يوحي به من عنوان فأنا واع من أنني لم أقدم نظرية مكتملة ومن خلال هذين الجزأين مع ذلك سأسعى إلى تشييء العنصر النظري الضروري لكل فلسفة ملزمة ببلورة فهم خاص بها يتجاوز الطرح الميتافيزيقي إذا ما رغبت في إقامة روابط التعاون مع العلوم الاجتماعية بالاستناد إلى قاعدة تقسيم العمل فإن الرهان بالنسبة لي يتلخص في تأسيس مشروع قد يتفرغ في اتجاهات متعددة إذا ما قبلنا النظر إليه نظرة واعدة، (أبو النور حمدي أبو النور حسن، 2001، ص135-136). فإذا كانت النظرية النقدية لدى رواد مدرسة فرانكفورت لم تنجح في تطوير مفهوم العقل التواصلية، فهذا يعود كما يعتقد هابرماس إلى دور العقلانية الأداتية المستمرة في فكر ادورنو وهوركهمير نتيجة المخاوف التي سيطرت عليهما بسبب الهيمنة التي تمت أثناء الحرب العالمية الثانية.

وهذا ما استدعى من هابرماس إلى إعادة تطوير مفهوم العقل وإعطائه مفهوما جديدا أكثر قوة وكفاءة وحدائية وهو العقل التواصلية، فهذا العقل يرتبط بالحدثة ويستفيد من معطيات العقل النقدي ويتجاوز عيوب العقل الأداتي وي طرح ممارسات عقلية وإجرائية.

إن مفهوم العقل عند هابرماس لم يعد مفهوما جوهريا، سواء كان هذا الجوهر ذاتيا أو موضوعيا، بل رأى أنه من الحكمة البحث فيما هو عقلاني بدلا من البحث في مفهوم العقل، وعليه وجب الاهتمام بالعقلانية بدلا من التركيز على العقل في شكله المجرد (عمر مهيبل، 2011، ص348)

فهذا العقل على حد تعبير هابرماس يريد منه أن يكون متوصلا مع غيره لا الهدف منه هو البحث عن حلول مستعجلة للمسائل الاجتماعية والسياسية وإنما الهدف منه هو تحقيق التواصل.

إن هذا العقل يبني على فعل خلاف يقوم على الاتفاق وهو بعيد عن السيطرة هدفه هو بلورة إجماع يعبر عن المساواة داخل فضاء عام ينتزع فيه الفرد جانبا من ذاتيته ويدمجها في المجهود الجماعي الذي يتم بالتفاهم والتواصل العقلي. إذن فالعقل التواصلي هو المنظم للفعل التواصلي سعيا وراء وضع شروط حقيقية لمجتمع ممكن مادام التفكير يتجه إلى ما هو اجتماعي مما دفع هابرماس إلى قيام عقلانية على أساس من التفاهم بمعايير جوهرية لمقولات ذات بناء عقلاني، يتخذها الفرد بوعيه وفق أسلوب خارج السلطة وهيمنتها هكذا يكون الفعل مصدرا لكل القرارات (عبد الله إبراهيم، 1997، ص 357)

لقد سلك هابرماس طريقا واضحا في صياغته لهذا العقل التواصلي، واضعا إياه في حيز التواصل هكذا يظهر لنا هابرماس كيفية تحويل مجالات البحث من العقلانية الأداتية إلى العقلانية التواصلية، هذه الأخيرة تظهر من خلال العلاقة التي يقيمها الناس القادرين على الفاعلية عندما يتفقون على شيء معين لهذا يحاول جاهدة الانتقال من العقل الأداتي إلى العقل التواصلي مؤكدا من خلال مؤلفه "الخطاب الفلسفي للحدث" "أن العقلانية التواصلية تقاس بالقدرة التي يحوزها الأشخاص المسؤولون والمشاركون في تفاعل بالقياس إلى ادعاءات الصلاحية التي تعتمد على اعتراف شخصي فهذا العقل يضع مقاييس العقلنة"، (يورغن هابرماس، 1995، ص 372)، سعى هابرماس إلى اقتراح عناصر نقدية للمجتمع، ولذلك فإن محاكمته للعقل الغربي في نظريته للحدث والعقلانية وإدخاله نظرية التواصل يهدف من ورائهما وضع

القواعد لنظرية سياسية واجتماعية تمكن من التفكير في الظواهر السيئة للمجتمع الغربي.

وقسم هابرماس العقل إلى نوعين من النشاط العقلي الذي يقوم به هذا العقل وهما:

- نشاط عقلي معرفي - ذاتي وهو نشاط مرتبط بغاية لا يحقق أي منفعة يستخدمه الإنسان لمعرفة العالم الخارجي.

- نشاط عقلي تواصلي تمارسه ذات قادرة على الكلام والفعل هدفه التوجه نحو التفاهم بين الذات. وبالتالي يكون نشاط العقل له منظور أداتي وآخر تواصلي.

4. خاتمة

تأسيساً لما سبق فإننا نجد هابر ماس حاول إعادة صياغة إحياء المشروع الحدائي الكانطي، ففي بناءه للدولة الكوسمو سياسية انطلق من خلفية فلسفية تتمثل في تحديث التنوير عبر الوعي الديمقراطي المؤسس على مبدأ التشاور لكونه هو النظام الأنجع لدولة قانونية تداولية، إذ يعد نموذجاً لتحقيق نظام سياسي ناجح مبني أساساً على الفعل التواصلي أساسه التواصل وأخلاقيات النقاش والحوار في إطار فضاء عام يخلق تفاعلاً بين المشاركين بكل إرادة وحرية، في حدود نظام ادعاءات الصلاحية نظراً للوضعية التي يعيشها العالم، والتأسيس لنظام ديمقراطي ودولة القانون إذ تعد الديمقراطية ركيزة ضرورية في بناء المجتمعات وتنظيمها وذلك باعتمادها على قوانين الدولة وبالتالي ليست شرفاً فكرياً بل هي حاجة ضرورية تمس الجميع في جميع النواحي السياسية، الاجتماعية، من خلال تحقيق المساواة بين الأفراد.

5. قائمة المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

- عبد السلام الأشهب محمد، (1997)، أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل لهابرماس، دار الورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان.
- حرب علي، تواطؤ الأضداد، (2008)، الآلهة الجدد وخراب العالم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- بن شيخة المسيكني أم الزين، (2006)، كانط راهناً، المركز الثقافي الغربي، المغرب.
- عبود المحمداوي علي، (2015)، الفلسفة السياسية، دار ومكتبة عدنان، بغداد.
- ركح عبد العزيز، (2011)، ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، منشورات الاختلاف، دار الأمان، بيروت.
- مصدق حسن، (2005)، يورغن هابر ماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- هابرماس يورغن، (2001)، المعرفة والمصلحة، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا.
- أبو النور حمدي وأبو النور حسن، (2012)، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، دار التنوير، لبنان.

- هابرماس يورغن، (1995)، القول الفلسفي للحدث، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، الكويت
- مهيبيل عمر، (2011)، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، دار العربية للعلوم منشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي، الجزائر.
- عبد الله ابراهيم، (1997)، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي الغربي، بيروت.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- Haberas Jurgen ,(1998), l'intégration républicaine,tssai de théorie politique ,tr Rochlitz, paris.
- Haberas Jurgen,(2002),droit et démocratie entre faits et normes,traines Rochlitz gallimard, paris.
- Haberas Jurgen ,(1998), l'intégration républicaine ,tr.rainer rochiltz ,ed faryard, , paris.
- Haberas Jurgen ,(1996), Lapaix perpétuelle ;le bicentenaire d'une Idée Kantienne,orf, paris.
- Kant I ,(1997) , Métaphysique des mœurs , aeuvres philosophique , paris.
- Philleppe Fleury, (2015), philosophie de l'histoire ecosmopolitisme Ed l'harmattan ,paris